

التبيان في تفسير القرآن

(84) في هذه الآية أيضا حكاية عن تقدم وصفهم بأنهم أولوا الالباب وغير ذلك من الاوصاف التي مضت بأنهم يقولون: (ربنا إنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان) واختلفوا فيمن المنادي ههنا، فقال محمد بن كعب القرظي وقتادة: هو القرآن. وقال ابن جريج وابن زيد: هو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو الذي اختاره الجبائي، واختار الطبري الأول قال: لانه ليس كل أحد سمع قول النبي (صلى الله عليه وآله) ولا رآه ولا عاينه وسمع دعاءه إلى الله تعالى. والقرآن سمعه من رآه ومن لم يره كما قال تعالى مخبرا عن الجن انهم قالوا: (سمعنا قرآنا عجا يهدي إلى الرشد) وهذا الذي ذكره ليس بطعن، لانه إذا بلغه دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) (ربنا إنا سمعنا مناديا) وإن كان فيه ضرب من التجوز، وقال قتادة سمعوا دعوة من الله فأجابوها وأحسنوا فيها وصبروا عليها. وقوله: (سمعنا مناديا) يعني نداء مناد لان المنادي لا يسمع وقوله: (للإيمان) معناه إلى الإيمان، كما قال: (الحمد لله الذي هدانا لهذا) (1) ومعناه إلى هذا قال الراجز: أوحى لها القرار فاستقرت * وشدها بالراسيات الثبت (2) يعني أوحى إليها. ومنه قوله: (بأن ربك أوحى لها) (3) أي إليها، فمعنى الآية (ربنا إنا سمعنا) داعيا يدعو إلى الإيمان والتصديق بك، والاقرار بوحدانيتك، واتباع رسولك واتباع أمره ونهيه، فصدقنا بذلك يا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) ومعناه استرنا علينا، ولا تفضحنا بها في القيامة على رؤوس الأشهاد بعقوبتك، لكن كفرها عنا (وكفر عنا سيئاتنا) معناه امحها بفضلك ورحمتك ايانا (وتوفنا مع الابرار) معناه واقبضنا إليك إذا قبضتنا في جملة الابرار، واحشرنا معهم. _____ (1) سورة الاعراف: آية 42. (2) انظر 2: 459 تعليقة. 1 (3) سورة الزلزال: آية 5.